هيثم يحيى الخواجة

أمّاه

كيف تركت طفل الياسمين؟

شعر





مؤسسة الانتشار العالمي

للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع

ت : 0102721213

e.mail: Alentshar48@hotmail.com

الكتاب : أماه.. كيف تركت طفل الياسمين؟ (شعر)

الكاتب : هيثم يحيي الخواجة (سوريا)

الناشر : مؤسسة الانتشار العالمي (القاهرة)

الطبعة العربية : الأولى القاهرة

رقم الإيداع : 13609 / 2008م

الترقيم الدولي : 2 – 04 – 6281 – 977 -978

جرافيك وتصميم الغلاف : م خالد نور الدين

الجمع والإخراج : وحدة الكمبيوتر بالمؤسسة

الإهداء

إلى أمي التي رحلت عن دنياي،

ولم يزل طيفها يسكن فؤادي

هـــــــيثم

أمّاه كيف تركت طفل الياسمين

للشاعر هيثم يحيى الخواجة

بقلم: الدكتور حسن فتح الباب

من الظواهر الأدبية في شعرنا العربي قلة القصائد التي سكب الشعراء فيها دموعهم حزناً على رحيل أمهاتهم، وذلك على الرغم من مكانة الأم في نفوس أبنائها وفجيعتهم إذا غابت عن عيونهم فافتقدوا حنانها، ولعل مرجع هذا الغياب الشعري يعود إلى تقاليد النظام القبلي التي تجعل الرجل يخجل من ذكر أمه، بل زوجته أيضاً على ملأ من الناس، باعتبارهما تجسيداً للعرض المصون ومستودعاً للأسرار الخاصة.

وينطبق هذا العرف أيضاً على الابنة والأخت فمحظور على الشاعر أن تكون ملهمته من النساء اللاتي يمتّ إليهن بصلة رحم ومن ثم ساء القبيلة تغزل

قيس وتشبيبه بابنة عمه ليلى؛ مما حرمها من الزواج به، وزوجها أبوها من رجل آخر لا تحبه، واعتبروا قيساً مجنوناً ومثل سائر العشاق الذين تنكروا للأعراف القبلية التي كتبت مصيرهم التعِس حين حرمت بل جرمت الحب، وهو أسمى عاطفة في الوجود، فكانت المرأة الحبيبة والرجل المحب ضحية هذه الأعراف المختلفة ولم يكسر هذه القاعدة في حدود قراءاتنا للشعر القديم إلا الشاعر الأموي جرير إذ رثى زوجته بقصيدة مطلعها:

لولا الحياء لهاجني استعبار
ولزرت قبرك و الحبيب يزار

ويتبين من هذا المطلع حياء جرير من البكاء لما أصابه من فجيعة رفيقة حياته، ومن زيارة قبرها، فالرثاء مثل الغزل بذوات القربى علامة ضعف الرجل حب التقاليد المرعية، كما رثى المتنبي شاعر العربية الأكبر جدته لأمه بقصيدة من عيون الشعر العربي وفرائده لا لكسرها التابو القبلي المقدس فحسب، بل

للعبقرية الشعرية في الرؤية والصياغة أو المعنى واللفظ إذا استعرنا مصطلح البلاغيين القدامى.

وكان أبو الطيب المتنبي قد تلقى رسالة من جدته تشكو فيها شوقها إليه وطول غيبتها عنها، ولم يمكنه وصول الكوفة حيث تقيم على حالته تلك، فانحدر إلى بغداد، وكانت جدته قد يئست منه، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه، فقبلت كتابه، وحُمت لوقتها سروراً به، وغلب الفرح على قلبها فقتلها، فقال يرثيها بقصيدته التي استهلها بقوله:

ألا لا أرى حمداً ولا ذماً

فما بطشها جهلاً ولا كفها حلماً

وقد بلغ المتنبي ذروة الإبداع في الأبيات الآتية:

أحن إلى الكأس التي شربت بها

وأهوى لمثواها التراب وما ضَمّا

بكيت عليها خِيفة في حياتها

وذاق كلانا ثكل صاحبه قدما

أتاها كتابي بعد يأس وترحة
فماتت سروراً بي ومتّ بها غمّا

حرام على قلبي السرور فإنما
أعد الذي ماتت به بعدها سمّا

المرأة الملهمة في العصر الحديث:

وبمضي العصور وتقدم الأمة العربية الإسلامية تحطمت بعض الصخور التي وقفت في طريق إنصاف المرأة ومساواتها بالرجل حتى إذا أشرقت شمس العصر الحديث في العالم العربي بدءاً من القرن التاسع عشر الميلادي أخذ الشعر يسترد مكانته الأولى بعد انحداره في عصر المماليك والعثمانيين، ورفع رب السيف والقلم محمود سامي البارودي راية الإحياء، وجدد الفن الشعري في نسيجه ومعانية وأغراضه، ومن تلك الأغراض التعاطف مع المرأة والجهر بهذا

التعاطف ولو كانت من الأرحام، تدل على ذلك مرثيته لزوجته ولابنته (سميرة) اللتين رحلتا وهو في منفاه في جزيرة سرنديب (سريلانكا).

وتدفق تيار مدح المرأة أو رثائها إذا ودعت الحياة منذ القرن العشرين، ولم يعد الشعر الذي يعبر فيها الشاعر عن ألمه لفقد زوجته مقصوراً على قصيدة واحدة، بل تجلى في ديوان كامل عرفناه عند الشاعر عبدالرحمن صدقي في ديوانه (من وحي المرأة) الذي رثى فيه زوجته، والشاعر عزيز أباظه في ديوانه (أنات حائرة) الذي صور فيه التياعه لفقد رفيقة عمره، أما رثاء الأم فلم نجد إلا قصائد متفرقة لدى الشعراء المعاصرين.

بكائيات هيثم يحيى الخواجة:

وأخيراً تحقق الأمل المنشود وهو تخليد الأم الراحلة باستلهامها ديواناً كاملاً، وذلك ما أنجزة هيثم يحيى الخواجة في ديوانه (أماه! كيف تركت طفل الياسمين؟)،

هذا الشاعر المجيد المجدد الذي خاض بهذا الديوان غمار الفن العربي الأول، بعد سيرة طويلة في عالم الكتابة المسرحية تأليفاً ونقداً وبحثاً.

وهذا العمل الإبداعي الجديد ينمّ عن موهبة فنية بلغت الذروة في بعض النصوص من حيث الرؤية والمضامين والصياغة، وكلها من شعر التفعيلة والسمة الأولى للقصائد هي رهافة الإحساس؛ بفقد الأم الحانية الرؤوم التي استمرت طوال حياتها تعطي بلا من، وأفنت عمرها ليحيا أبناؤها في رغد من العيش، وكان الشاعر نعم الابن البار بها، فلما رحلت أخذته الفجيعة، وضاقت به الأرض بما رحبت.

وتتجلى في معجم الشاعر شدة وقع فجيعته، إذ تتكرر كلمة نزيف ومشتقاتها في الكثرة الغالبة من قصائدة حتى تكاد أن تكون المحور الذي تدور حوله، ومثلها كلمات الجرح والحزن والألم والدمع بمشتقاتها

كما تتكرر كلمات التلاقي والفراق والغياب والحنان والحنين.

نضح المخيلة الخصبة:

يمتح هيثم يحيى الخواجة من ينابيع الشعر الرومانسي الذي يطلق عليه الناقد الكبير محمد مندور الراحل: الشعر الوجداني الذي برع فيه شعراء الغزل الأقدمون، ثم شعراء مدرستي أبولو والمهجر، ومازالت تمثل مصدراً أساسياً للإبداع، وأهم ما يتميز به استلهام تجليات الطبيعة والهيام بها، واتخاذها ملاذاً يأوي إليه الشعراء ليقيهم الشعور بالكآبة من جراء قبح الواقع المعيش ويتفاوت شعراء الوجدان الذين يستوحون الطبيعة مابين مقلدين للنماذج المأثورة من الشعر الرومانسي ومجددين فيه.

ومن هؤلاء المجددين شاعرنا هيثم يحيى الخواجة، إذ يمزج بين الحلم والواقع صادراً عن مخيلة خصبة تتبدى في معانيه وصوره التشكيلية الباهرة التي يوظف

فيها مفردات الطبيعة المتمثلة في الأضواء والظلال والشمس و القمر والسحاب والشروق والغروب، وفي الأشجار والأزهار ولاسيما الياسمين، حتى أنه سمى به ديوانه، والبنفسج والقرنفل والسوسن والزنبق... إلخ.

والشاعر يخلق على هذه الكائنات أحاسيسه المتوترة ملتمساً لديها البرء من أسقامه بعد رحيل أمه التي كان يجد فيها بهاء الورود ورقة الياسمين حيناً، ويجد صمود الدوحة للرياح في مقاومتها لما قد يعصف بحياة أبنائها حينا آخر.

تقنيات فنية باهرة:

ومن التقنيات الفنية في ديوان (أماه! كيف تركت طفل الياسمين؟) المزج بين الماديات والمعنويات في علاقة جدلية، مثل الرماد واليأس والمطر والدموع والأنين والأرق، والمرايا وطيف الحبيبة الغائبة، الذي يراود الشاعر، وهو يكرر ذكر هذا الطيف في عديد من نصوصه الشعرية.

ويمثل المكان والزمان وتراً مشدوداً طوال هذه النصوص من خلال أثره العميق في قلب الشاعر وعقله، والشعور بالوحشة والاغتراب وتر آخر في قيثارته، بعد أن أظلمت الدنيا في عينيه وذبلت أزاهير الأمل وعز اللقاء كما نرى في قصيدته (الميلاد) التي تصور إجهاض الحلم بالميلاد الجديد: (هي ريشة الأحلام أهداب الطيوف وقطرة الصحو الوريف، في مهمة الجرح النزيف) ثم تتوالى نداءات الشاعر للزنبق وهو رمز الأم كي يعينه في مأساته: (يازنبق الميلاد أخبرني، فأنا الغريب، أنا البعيد، وأنا الكسير من الوريد إلى الوريد).

ويتحول الكون كله إلى أرض يباب: (روّيته دمعي وشعري، وشرعت أدعو للسراب، لاشيء في عمري سوى ريح اليباب، نهب العذاب، الأرض من حولي تخوم راجفة، والأفق من حولي دروب راعشات بانتهاكات الغياب) ويعود عبر تيار الوعي إلى مناجاة

الأم الراحلة: (كنت الصفاء وكنت ينبوع الشروق، لم يبق لي ذكرى سوى نسج الحنين، لم يبق لي شوق يرف على ارتعاشات السنين، فمداي وعر حده الأدنى صحاري القيظ في عمق الأنين).

ونلاحظ بلاغة الشاعر في استعمال أسلوب التكرار، إذ يردد عبارة لم يبق لي للتعبير عن مرارة الفقد، كما نجد التكرار أيضاً في ختام عديد من القصائد الأخرى.

وتيار الوعي المشار إليه من أهم السمات الأسلوبية في الديوان، إذ نراه يتأمل في جماليات الطبيعة فتتداعى ذكرياته عن الأم الجميلة الراحلة إلى غير عودة. وتتجلى هنا الخصائص الفنية في قصيدة (شروق) ومن ثم نوردها كاملة: جاءت مع الصبح المعنّى، لونتني بالكروم، كانت تهدهد سيرتي، بالرغم من جرح السنين، كانت ترتب قصتي، والريح في ألم دفين، صار الوجود صدى الردى، والعطر غاب مضرجاً، والجفن من ألم سجين، همّ الحياة مزلزل بالغيم، والعطش الضنين،

بسمة درامية، ولا غرو فالشاعر كاتب مسرحي يجيد الفن الدرامي.

وختاما فإن ما يميز ديوان (أماه! كيف تركت طفل الياسمين؟) القصائد الأخيرة ذات المسحة الفلسفية إذ تكثر فيها الأسئلة عن المصير الإنساني، وهي أسئلة بلا إجابة كما نرى في المقطع الخامس من قصيدة (شريط) ونصّها هي الكرة الملتقى، هي الكوكب الدائري، هي العجب والدورة القاسية. صديق يلاقي صديقا، وعش يرتل سورته الساحرة / وعشب يزركش عودته الباهرة / وحوت يغيب نخلتنا اليانعة / تمد جذورا/ وتجدل نورا فتخبو الوعود/ ويسمو الصمود/ وتنهار ألوية في العطاء/ وتخفض سارية فاترة.

وتتوالى النقائض ايضا فى المقطع السادس من تلك القصيدة إذ تعبر عن المفارقات بين تصاريف القدر والبشر وحيرة الشاعر حيالها، وهو يوظف هنا تقلبات الطبيعة للتعبير عن هذه

الحيرة (رياح وموج، وحقد وسيف، وقلب وغدر، وغيم وبدر، ونهر يسافر بين النجوم، يحاكي الغصون، وينتظر الموجة الغادرة، حياة وموت، وذكرى وئيدة، بكاء .. صراخ، وعرس قريب، ودنيا طليقة، تسبح في القبة السادرة .

وبعد فهذه إطلالة عابرة على ديوان (أماه! كيف تركت طفل الياسمين؟) للشاعر هيثم يحيى الخواجة وهو اضافة مميزة للشعر الحديث الذي يستوفي شووط الابداع لا من حيث سمو موضوعه ومضامينه فحسب، بل لما يدل عليه من قدرة فنية يستخدم فيها الشاعر أحدث التقنيات الجمالية للتعبير عن أسمى القيم التي تزيد القارئ عراقة في إنسانيته.

هــذا أنا

أحيا مسكونا بالعتمة
فى ليالي الضنى و الشحوب
و اجما أسكن الأرق
باحثا عن صباح نديَ
و فجر نقيَ
و عمر شذيَ..
فما بين عينيك الغياب
والذي بين اهدابى عدم
انة تجهش في صدر المدينة
فمتى ترجع ليلات الصفاء
ويغاوينا الفرح
ومتى يرتد لى طيف الربيع
كى أرانى اتحدى ليل المحن؟
ها أنا المح وجهك

سناء عميقا

فجرا طليقا

و روضا.. وريقا

و هذي الحياة

تلوك سنيني

فتصبح شبابة للسؤال

و عاصفة للزوال

كرهت زخارف حرفي

ووشم الهروب

وأجنحة الانتصار

فأي قناع أواجه

وهذا الدوار عنيد

ومازال بحري ملحا

برغم المحار

رجـــاء

و يرحل رف السنونو..
و أفتح أشرعتي للشهيق
ونافذتي للبراري،
ولا من ضفاف!
و أصبح ناقوسها للوفاء
و أترك قلبي على قبرها
يغيب المحيا
فأنثر روحي
تزلزل عبر المدى رقعة
ولا من رجاء
يريني خواصر نهري
خشاش الفؤاد...
ما الذي يخدع اليوم جفني؟
يزحزح ليلي، و يصرع سجني؟

فمنكِ الحقول

تلقن ترتيلة للنمـــــــاء..

و أنتِ هناك

و روحي شظايا هنـــــا

و رمحي يعلو

يَهيجُ الرقاد

فقلبي بوار .. نشيجي قصب

و دمعي قرار.. و دمعي غضب

و أخدع كفي.. أجرجر ظلّي

أشق خزائن صدري

على بوابة ناغرة..

هذا ما حدث

رحلت على موجة عاتبة

طوتني الحكايا

و زرت فصول الدروب

عبير البوادي

و وجنة أسقفنا اللامعة.

و حزمتَ صدري،

و رتقت خطوي،

و شاطئ عمري،

و شفرة أحقادنا العاثرة.

هناك كتبت النهار شقاء

و لذت بليلاتي الداجيه

و في غابة السحر كنت مرايا

وكنتَ الصقيع

و في صبوة الفكر

كنت الهدايا

لفيفا من الهجرة الراكضة

غريـــب

جسدي تلوى في الرمال

و ليس لغيمة دمعي مال

و صوتى مرارة ناي جريح

ودفقة حب

و جمر سؤال

وما كنت أدري بأن الختام

ضمان ظلام

يومها جاء ريح الشتات

وليالي الحب ولت

كوكب الأحلام في أقصى الطريق

سرة الأقمار غابت

من تلاوين البريق

كيف أرقى للحياة

لكنوز الشمس

أو ظل الطريق

الحقــيقــة

رفت بأوردتي

و كانت شهرزاد

تروي حكاية حلمها

في مهجتي نسغ الحياة

و طيوفها وشم ترجل

وردة.. مطر الصباح

و نشيج طير في الربا

نزف على وجع الوله

أواه من زاد شحيح

و الطريق الضامرة

جــــود

ضجت الأنـهار من دفق العطاء
و بكى الصباح على نوافير العناء
أنتِ عطر الفجر،
نور النور،
صبح الصبح،
أمواج السخاء
كيف غاب الإلف
و انداح الشقاء؟
كيف فار المرجل المكبوت
في عمق الضياع؟
و تناثرت مدن عتاق؟!
كيف أودى الموت (بالعاصيِ)
بأسراب القطا
كيف أودى بدليل الذكريات؟

نــداء

أمـــــــي..

البوح ضج بخاطري

و النزف روَّع ما تبقَّى من دمي

و الوعد مخنوق الدعاءِ

و مهجتي صنو التساؤل عن محال

يا ليتني مازلت درباً للظلال

يا ليتني مازلت ستراً للمآب.. و للأمان

أمـــــــي

هذي الدروب كليلة

تجتر أحزاني

و آلامي

وتبوحُ بالأسرار في جُنح الفضاء.

لمــــاذا

عجَلت في بدء الرحيل،
و سخرت من دنيا على جنح المشيب.
مازال قفري
في انتظار خيول عمرك و الربيع
مازال عمري صنو عمرك في المحبة
و السبيل..
هذي ورود محبتي مجروحة
لا شيء يجمع نزفها
لا دعوة في الصبح تنديها
لا ناي يوقظني
ولا صوت النذير.
ماذا لو أني كنت صنو رحيلها؟
كنت الحكاية والنهاية والهديل
ماذا و للأقدار موعدها؟!

و أنا الغريب إلى النهاية

و أنا الشقي و ليس لي

إلا الـــروايــــــــة.

قيثارة الصـــباح

حمَلت فجر قضيتي

و زرعت أضوائي،

خيوط مسيرتي

طرّزت موسم عزتي

بالدمع و الحب الشذي،

و كنت قيثارة الصباح مع الصباح،

و ولجت أمداء الضباب مع الرياح

لم يعرف التاريخ مثلك نجمة

لا تختفي خلف السحاب

لم يعرف التاريخ مثلك ومضة

لا تنطفي عند الغياب

لم يعرف التاريخ مثلك دوحة

صفصافة تسمو على الأرض اليباب

حسبي من الأيام أنك صدقها

أنوارها و بروقها بين الخراب،

و تحت أقبية السراب.

حسبي من التاريخ

أنك غرةٌ معطاءةٌ

طيرٌ رهيفٌ

شهقة

وسط الضباب

المـــيلاد

يا زنبق الميلاد!

ماذا في التخوم

و في الســـــماء؟

يا زنبق الميلاد

ما معنى السؤال؟

هي ريشة الأحلام

أهداب الطيوف،

و قطرةِ الصحو الوريف

في مَهْمهِ الجرح النزيف

يا زنبق الميلاد

ما سرّ النداء؟

يا زنبق الميلاد أخبرني

فأنا الغريب أنا البعيد

و أنا الكسير من الوريد

إلى الوريد

في دفتر الأيام

دُوّنتُ مسطوراً على شط العذاب،

و تلامحت أحزان عمري

فوق أمواج الضباب

رويته دمعي

و شعري

و شرعت أدعو للسراب

لا شيء في عمري

سوى ريح اليباب

نهب العذاب

الأرض من حولي

تخوم واجفة

و الأفق من حولي

و شراعي المخذول

يرنو،

يرتجي في ظلها الريان،

أفياء الغياب

كنتِ الصفاء

و كنت ينبوع الشروق

لم يبق لي ذكرى

سوى نسج الحنين

لم يبق لي شوق يرف

على ارتعاشات السفين

فمداي وعر،

حده الأدنى صحارى القيظ

في عمق الأنين

شروق

جاءت مع الصبح المغنّى

لونتني بالكروم

كانت تهدهد سيرتي

بالرغم من جرح السنين

كانت ترتب قصتي

و الريح في ألم دفين

صار الوجود صدى الردى

و العطر غاب مضرجاً

و الجفن من ألم سجين

هم الحياة مزلزل

بالغيم،

و العطش الضنين

ما زلت أعتصر الدنى،

و ألوب نحو الصوت

نحو الموج

نحو الحرف

مشتعل الحنين

ســــؤال

يا دفقة الحب الأمينة

أقتات سر الليل

و الآهات،

و الأحزان،

و دفقة الوجد الأليمة

خرساء واجهة الصباح

صماء مرآتي و آهاتي كسيرة.

أماه..!

كيف تركتني؟!

أغفو على حد الضغينة،

و أعيش جرحاً

حده حد الأنين

أماه..!

كيف تركت طفل الياسمين؟!

هو ذابل

في الدار يبكي

و يغوص في سفر وطين

هو ذا ينادي:

من يداريني؟!

من يرويني من النبع النمير؟!

أماه..!

هذي الدار تشكو

درة قمراء ضاعت،

ثم غابت

و الحلم ضاع مع الرحيل

الحلم ضاع مع الرحيل

غياب

في غياب الليل

تحت الريح

في وجع الشجر

غاب القمر

فإذا البحر صحارى من جنون

و هجير

و إذا النفس هباء

و إذا الكون.. المدى

قفر سقيمٌ

طير ضرير

هل تغيبين إذاً

و أرفو الحب غنوة!

قبل أن أصحو

على حقل الدوالي

و السحاب

لم يعد إلا الغياب

لم يعد إلا الغياب

الفصل الأخير

كنا ثلة من أخوة

ننشد الحب و ربوة

و شراعاً من حياة

و عطورا

و غلالا من ربيع العمر صحوة

كانت الأفراح في كل طريق

تصهر الأبعاد و الوجه الشقيا

تفتح الآفاق و الحلم الشهيا

و تروّي لغزنا الظامي القصيا

و تُحيلُ الروحَ لحناً أبديّا

الـــطود

كنت الربابة و الوتر
و خطاك كانت قصتي
و الشعر فيك هو الدرر
في الوجه إشعاع وثير
و حديثنا المنـهال في السر الكبير
أنت الضمير و في الضمير

سلاماً يا يمامتنا

ألمح في عينيك حياتي
أسمع صوتاً
مخطوفاً من قلبي
و أردد أقوالاً
صارت وشماً
الحب مدى
و الصدق مدى

ما أخشاه
أن تنفرط السبحة
أن ينهد بنائي،
و يضيع العمر
تتحول أضلاعي أشلاء
سلاماً يا قصيدتنا

سلاماً يا يمامتنا

سلاماً يا منارتنا

كنت الأصداء

و زهر الخير،

و وهج الأضواء

استسلام

ألتفّ بالحزن العنيد

أفتضّ أختام الشجن

أستافُ جرحاً نازفاً

يروي المحن

و أخاصر البحر المسجى

و عناقيد السنابل

زقزقات للزمن

و خطاي تصرخ لاهثة

أماه..!

من..؟

هــذا أنا!!

فلقد أتيت معانقاً

دررِي التليدة

أماه..!

لا شيء يغريني سواك

لا شيء يملأ لي مكاني

ما عدت لأجني من دمعي

غير الأشجان

ما حيلتي و البعد مزقني،

و شتت مهجتي

حتى الوداع فقدته

حتى الملامسة الأخيرة

إنـــهاك

جسدي يتفرع إيقاعاً و صراخا

و دمي يغويه ضياع

ما عدت سأجني

من دمعي

ما عدت أضيء

فاصلة

في فتوق الليل
أضع الطين مدى
أقطف البوح أماناً
أنضوي
تحت السنابل
علني أنشر وجدي
و أطير
علني أجمع شعري
كي أفيق

الشـــــموخ

أرتمي فوق أمانيَّ الخفيضة

لفحها شمس عشيبة

لم أكن أعرف ضوء الحلم يخبو

يلفظ الأشعار يسلو

يثقب الدفء

حكايات لهيبة

صرة الأحداث تصحو

عقرب دار ولا شيء سواه

وثوانيه ضريره

أنزوي عبر الزوايا

و الحكايات المريره

لا مزاريب تغني.. لا حياة

إنها عمري و دمعي

إنها خطوي،

و أزجالي

و ثرياتي المطيرة

رسمها في أضلعي

فوق أسلاك فؤادي

في عروقي

ملجأي يوم يُغشّيني الجراد

مرجعي بين غرابيب الدروب

و صداي الأخضر الرجراج

في اشتهاء السعد

في مسرى الطيوب

إنها سر لعشقي

و مجراتي الخبيئة

كيف أفلت؟

غربت؟

قدري جمرُ تلظَّى

تحت جلدي و مساماتي

الوليدة

قصتي دربي

و فصلي حكمة الأقوال

من بعد الغروب

نـــــداء

أعلنت ميثاق الوداد

جمّعت أسرار الشجر

و ارتحت بين غدائري

نضّدتُ أزرار الفكر

لم يبق لي غير الترحّم

و الحداد

لم يبق لي غير الوفاء،

و غير توثيق النظر

في حضرةِ الليل البعيدْ،

و تصاهر الأبصار

في السفح المديد

دقتْ صنوج الفاجعة،

و تطايرت أنياط قلب العاشقين

هذي النوارسُ شارداتٌ راحلات

هذي الطلول تُسطّرُ الأسفارَ

في سفح الغمام

الصمت في خدر المهاوي

شق عنقود الوليد

جفَّ الكلام هنيهةً

لا شيءَ غير حقيقةٍ

قمر يُغشّيه الجليد

هذي سويعاتُ الشقاء

فلا بكاء، و لا سخاء

زمنٌ ثقيل الوطء

يسكنُه الغمام

و تقادحُ الآلام

يرجمُها السفر

كل البوادي و الخليقة و الصور

رجع الصدى أو قبسة الأحلام

هامات الفكر

فبريقها أغنى المحطات المريرة

و عطاؤها غمر القمر

الله يرحمها،

و الفجر يستفتي الشجر

الله يرحمها،

فما عاد الربيع ربيعنا

النخلُ يرعى حيرتي

و البؤسُ ينعى صعقتي

و الرملُ يسترقُ النَّظرْ

فهي السلامُ

هي السلامْ

مرآى البصيرة و البصرْ

نبع مسجًّى في المشارق و المغاربِ

في تلاوينِ الحجر

مــــــدى

يا خلاخيل الصدى

و استدارات المدى

و اشتهاءات الهوى

و حكايات الرؤى

هذي الحقول بكاؤها يدمي الفصول

هذي الثمار صدى لآهات الروابي

و الخوافي و النصول

هذا الكلام المستباح بلا أصول

هذي القصيدة في لغات الموت

منعرج الوفاء

و الزعتر البريّ

تطويه القفار

و رغيف ماضينا يلونه الشقاء

و يلوح السَّمار..

ما هذا الدمار!!

وداع

في عروة للقلب تخفق

في المحارات الزواهر

في صهيل الدرب تصحو

في بروق الوُرق تندى

و تحدّق

في كرات البرق

فوق الطيف

في ذوبِ المحابر

أقـــــواس

شاردٌ أرسمُ الدنيا مشاعلْ

أعشقُ الأنسامَ من خلف الخمائل

أنقل الخطوة في إثر الخُطى،

أرنو

تعكس المرآة حائر

يا سحاب الغائبين!

إنني رهن السفين

إنني نقش السنين

مركـــــز

سؤالي ملحٌ
يدور، و يرخي
عنان النهار
و يبقى السؤال وليد الفراق
و يبقى السؤال رهين الضياع
فهذا طريقي بناه الحنان
و-هذا سبيلي سبيل انتظار
أبثُ همومي
أخط نزيفي
بحرف و نار

و أغفو قليلاً
و أصحو قليلاً
و ظلمة قلبي

ُتماهي الإحن

فقدتُ الأريج

و بوح السواقي

و غابتْ كنوزي

و جف القرار

ضياع

مسكونة روحي بروحك

كيف تصحوالأفئده؟!

مسكونة أيام عمري

بالحنان

و بالوداد

و بالرؤى

فكيف تسلو الأورده!؟

كيف يرقى الحب

تزهو الأزمنة؟

و تصوغ معنى الأسئلة

منْ لي ببإنسان يزركش عمرنا،

و يضيء حتى الأقبية

هذي براكيني

تقضّ محجّتي

وتثير وعدي

تختفي في النفس

حتى الأورده

مسكونةٌ روحي بروحك دائماً

أواه ما أقسى نزيف الأمكنة!!

وفـــاء

و رتبت جرحي شراعاً

و همتُ بمن علموني الوفاء،

ودوّنتُ بقلبي بحجم الثناء،

و زرت بلاداً،

و عشتُ انتظاراً،

و لكنَّ قلبي ظلَّ وفياً لوجهك

أيا أمتا..!

فأنت النساء و حلم النساء

و مازلتُ في مركب الأشقياء

لهيبٌ من الدمع يجري

و ألسنةٌ من نخيل حريق..

و في سرة الليل

تغفو البراري

على آهة من رياح

على هودج من صقيع
و أسئلة من دماء

الرّدى في الروابي
و النجوم الحيارى
الردى في البراريْ
و الصحاري الظماء
الردى في العيون
و الدموع، الهوامي
الردى في الحشا
و مياهي سراب
.. آه يا شجرَ الاشتهاء
و الثمار البواكي
لستُ أقوى احتمالاً
إنها قصة شاجيه
إنها صورةٌ دامعه

ها هو الطَّلُّ يهمي

في السهام الهاجعه

بين لونٍ و عتابٍ

و نذيرٍ و مآبٍ

و خفوقٍ و زفاف

و نذورٍ والعة

و وجوهٍ كالحه

و عيونٍ دامعه

غادرِ النجمُ سماء العاشقين

إنها صورةٌ راجفه

لحكايا راعفه

وليالٍ عاصفه

بـــــؤرة

و بكائي نقشٌ في نفقٍ تمخره الأصداف

و شروقٌ تبنيهِ الألوان

في غاشيةِ الدار

و بين زوايا أروقةِ النفس

و أمواج الذاكرةِ الملحية

يتحدى النّهدة الهاجرة-

الغيم يشدُّ الرملَ،

تأتزرُ الأحلامُ بماءِ الوعدِ

و بهاءِ الآتي

في شطرٍ موعودٍ..

فصلٍ مرغوبٍ

و الشاعرُ يزجرُ طيراً

يتحدى النهر الهاجرة

في جبروت الصدر العاري

و مدينةُ همسٍ

و نشيجٌ سكبتهُ الأصفاد

و عيونٌ رمداء

و خطى لا تعرف موعدها

تستجلي إيقاعَ الموتِ

في فسحة حبّ منكوب

..إنه محراث عمري

إنها الدورة الدائرة

أيها المحمولُ من فوق الرقابِ

أيّها الذابلُ من قبل المواسم

و الدوالي الوارفة

إنهُ الفصل الأخيرُ

في شفاهٍ ناغرة

سنبلة

عرفتك في عشب هذي الأرض
و في دفء وعدي
و في سرّ البَرد
و آيةِ عمري

يلفني العجاجُ
و اللغةُ الفاتنه
يراود جذري
سكون فطين
و حرث وضيء
و أصداء ثرثرة باهرة

أي دنيا إذا

سُجُف الحبِّ توارتْ

و خبا الدُّر.. سراجُ العمر

او صوتُ الوتر

أنتِ من عمق حياتي

من ينابيع شقائي

و نزيفي و ابتهالي

و رحيلي و انتباهي

أيتها...!

أيتها القصيدةُ الضافيةْ

أنتَ سرُّ البحر

شطآن الخوابي

و حقولٍ وارفه

أيا قبلتي الناضره

بنعيم وجهك أرتجي

نور الحياة

و على الدروبِ الواعدات

يرتِّل الصفصافُ

آفاق المسافة

نورس الأقمار

رعشة التذكارِ

و اخضرار العوسج البريّ

و الصبر الضرير

أنتِ يا أنتِ الدواء

و ماء قلبيْ

و المحار

هل يستفيقُ العِطْرُ

إنْ سقط المحال

و تلامحتْ أصداءُ روحكِ في القرار؟

أواهُ يا وجعَ المسار

الدوحة الفرعاء
ضجَّ بها السديم
و جذوعها الحدباء ما برحتْ
تناديها السنابلُ
و الجداول و القبل

أبُنَيَّ
وائتلف الفؤادُ بكل ميسَم نبرة،
و بكت دموع الروح
و شميم محتدها تجذره السنون
أبُنَيَّ.. لا تجزع
.. و غابتْ واحتواها القلب
و اصطبغت سمائي
بنور الله

قدرته العَلِيَّة

و تكورتْ لغتي
وتناوحت ثكلى بغرغرة الألم
هذا عويلُ الموت
يخطفُ مهجتي
هذا صِهيلُ الحضرةِ الكبرى
يشدُّ عنان ميقاتي
إلى دفق الحقولِ
و وهدةِ الولد العطوف
هذا صهيل الحضرة الكبرى
يلفُّ ملاءة الوسن الطويل
يلون القمرالحزين
على فراق الواجمين
رحماكِ أنتِ القصةَ الأولى
و قمحُ دمائنا العطشى الثكيله

أسبغتِ عمراً في ضمائرنا الكليله

و أضأت صبحاً ضائعاً

و أنوثة الأنساغ

في صبح البكور

أيَّانَ هذا الصوتُ؟

حين يساكن الأحبابَ معتداً وقورا؟

أين هذا الطيفُ

لا يخشى مفاتنَ،

أو تصحرَ بائس العهد الصبور

جسدٌ تُطوِّحُه البلايا

و المصير يعاند النجم النصير

تمـــــيز

بوركتِ يا أمي

تحيينَ الوئاما

أنت الفرادةُ

و حين يساكن الأحباب معتداً وقورا؟

أيانَ هذا الطيفُ

ساءلت قربك في المدى

فمنحتني وصلاً بهيًّا

بوركت أمي

فأنتِ اصطباري

و أنتِ المنارةُ

عبر الأماني

سألتك طيباً

و عهداً وفيّا

مع الشمس أقبلت وعداً

تناءيت جرحاً

و أوفيتِ عهداً

و كنتِ الصديق الرفيق

و طفلاً غريراً

و سراً عميقاً

نشيداً ثرياً

فكيف يكون فراقي رخيًا؟

و كيف أودِّعُ نفسي،

و أتركُ روحي بين العيون

و خلف الجفون

و في دفقات العروق

و رجفة قلبي

و قرب مناخات حزن شقيٍّ

يؤم الرحيل،

و يدمي العقول

أحبك حباً

له في ارتحالي معاني البقاء

و ليس بكائيَ و دمعي الغزير

سوى الاحتراق

أهذا الفناء يجرُ الفناء!!

و ماذا عن الحبِّ؟!

ماذا عن الأتقياء؟

تعالي أرتل في مقلتيكِ

نشيداً.. نجاوى.. و بوحاً

عليه تغني الطيور الحياه

عليه يفوز الصباح

بحلم اللقاء

انقطاع

لم يعد يلتقيني شذا الياسمين
فلقد غاب كما غاب الحبيب
كان لحناً في صباحات الحنين
عبقريَّ العزف
ضحَّاكاً جميلاً
من ذا يعيدُ من البعيد
من القريب
من الشمال من اليمين
أحلامَ أحلامِ السنين
و ارتعاشاتِ الظّلال
و نداءات الحياة
و تباريح السفين
هذا الخليج معاتبٌ
هذا الغريب مجاهد

و كروم عمري للمصير

أيها الحزن الذي يمتّد من باب لباب

هذا الشقيُّ معذبٌ

أضناهُ شوقٌ فائرٌ

أشقته نيران الحريق

هذا الشقيُّ معذبٌ

أضناه بؤس الرملِ

أغلال السبيل

و قساوةُ الآهاتِ

في الجسدِ النحيل

بلا اعتذار

عصف الشوق بقلبي

و اعتلى خصر الشجر

سارت الأيام تترى

أنشد الأطفال

تاريخ المقل

حمل العطر وعوده

و توارت فكرة

خلف فكر

إنه العرسُ المسجَّى

مثل بحر الموت

قصة الآتين من برٍّ لبر

حول بيتي رعدةٌ

برق.. رياح

زمهريرٌ و حجرْ

وقيودٌ سُيِّجت

بالمعاني

و الصواري

و البشرْ

مواجهة

لست من عصر الأساطير و العجاف

إنني درع الحقيقة

في رواح وإياب

شجري الحر وليد الشمس

فيئي نازف

و بلاد من طلول واجفة

لم يعدْ يشفي الجنونْ

هذا التوهج

من سُجُوِّ الروح

يستفتي السكون

لا شيءَ بعد يخيفني

الموت يطفئ كلّ حبٍّ..

كل حلمٌ

كل شوق

و الرماد

يستنقح السفر البعيد

هذي دروب للغياب

و أنا دمع الدموع

في جبين الأقبية

و الماردُ الجبَّار يهذي

لا شموس، لا مودَّة

لا نوافذَ،

أو شروق

يا نفس عودي

لا مآل

ولا منار

عودي فقد حطّ الغراب

و القلب سبح للغياب

عودي فقد حان المآب

عودي فقد حان المآب

وجـــــع

أتُرى يحملنا زهر البنفسج

و تناغينا

عيون الياسمين؟

أترى تشفي محطات السنين

و سويعات الحنين؟

إنّ هذا الحبّ

نبضٌ يتوهج

إنّ هذا الحبّ

شلاّل و زورقْ

و طيورٌ

في جنان الروح تغرقْ

و أراجيح وصالٍ

و أمانٍ تترقرقْ

لا الشّقا لانَ،

ولا الوصل تفرَّق

لن يموتَ النبض

إن الحلم أبلقْ

أيُّ أشلاءٍ تهاوتْ

في الرماد!

أيُّ أقدام تراخت

في الوهاد!

أيُّ أحزان تغنّي

للشتات!

أيُّ أيدٍ صَفِراتٍ

صفراتٍ

صفراتْ!

نـهارات

شدَّ ما أخشى على دمعي السأم

فالنهارات رماد

و المساءات حداد

و طريقي من عدم

و ثباتي

من لحون الشوق،

من عمق الألم

آه لو يحملنا غيم الوفاءْ

نطفئ الجمر الذي

يرتضي منّا العياءْ

و نروِّي قصةَ

تنشرُ الدربَ صفاءْ

تضحكُ الأقمارُ

غابات غناءْ

انطلاق

سؤالٌ يلحّ

و صوت يفحُّ

و يعلن عن رحلةٍ سامية

فمرحى و مرحى

و أنتِ رنينُ الوفاء

و ناصية الحبِّ و السارية

فمن أي نبع نهلتِ؟

و من أي شمسٍ سطعتِ؟

و من أينَ جئتِ؟

و كيفَ جُبلتِ؟

كزهر الربيع؟

كما الدورة الحانية؟

تكونتِ عمراً

تبرعمتِ درباً

و ذبتِ نشيداً

و ضرعاً ندياً

كما النخلة الوادعة

فأنت مِلاكٌ لقلبي

و نبضٌ لعشقي

و شلالُ وعدي

حنين السواقي

رحيل المآقي

و برعمة الحبِّ في البادية

أيا رعشة الوجدِ

يا نبعة الورد

يا نسمة الروح

يا نجمة السرّ

هزّي الثمار

تحرّي الدثار

و مدّي الجمار

و بوحي فقد صُفّت السارية

و قولي لمن شاء

عريني أمين

و قلبي مكين

فمن أي نبع نهلتِ؟

و من أي ظلٍّ دفقتِ؟

و من أين جئتِ؟

أفيضي من الحب

كيما تجف ضروع السواقي

فأنتِ العطاء

و أنتِ النماء

زهور البراري

نشيد الوفاء

عبير التلاقي

و مجدي و عزي

بقائي و سرّي

و تغريدتي الصافية

فهذي الطيور تهجي الحنين

و هذي الربوع رفيق الأنين

و هذي الغصون الدروع..

العروق

تنير الجبين

فأنتِ البحار

و أنتِ الحنين

يضوع رؤاك

فهلا عبرتِ،

و سرتِ،

و أيقنتِ..

أنتِ الصهيل

نشـــــوز

غيم يعانق غيمة

قمرٌ يقبِّلُ قمرةً

و النجم في الزمن الحديدي الفريد

يغتال أجنحة الوعود

هذي شجوني برعمتْ

شوكاً بأصقاع الوريد

دربٌ يعانق قصة

و أنا الشريد مع الوعيد

هذا الوريد من الوريد

هذا القصيد من القصيد

كانت الغربة عمراً

صارت الغربة وجداً

و مآلاً

و فصولاً

و طريقاً من رعود

شريـــــط

(1)

قمرٌ يصحو

و شمسٌ تغيب

شمس تصحو

و قمرٌ يغيب

(2)

هكذا نقطف أثمار الحياة

فيفترّ ثغرٌ،

و ينهدُّ عزمٌ

على محجر الغيمة الآفلة

هو الدرب الذي قد نريد

صراخ وليد يحطّ الرحال

و عمرٌ يذوب يلاقي الكفن

هل العمر ذكرى

و حلمٌ طويلٌ

قصير مديد؟

هل الحب طيرٌ

يزور المساحات

و الغيضة النابضة؟

(3)

أِلا أين أنتِ؟

رفيق العطور

قرنفل قلبٍ

يعيش الوطن

و سوسنَ حبٍّ

يضاهي المحن

ألا أين نحن؟

شجاعٌ يصاولُ كل السيوف،

و كل الرماح،

و أقسى الدروع

بقايا الإحن

ألا يا صبايا زمان الجمال

و عمر الورود،

و عرس الخلود،

و حلم الشباب

و كل نهود الغصون

على القمرة المثمرة

رياحاً تغيَّب ريحاً

و بحر يغيب موجاً،

و أرض تخبِّئ سرب سبايا

عشيقاً،

مريداً،

حبيباً،

طهوراً..

مرايا زمان،

و سيف أفل

(4)

جنونٌ هو الحب

جنونٌ هو الوعد،

و نبض البرايا

أسير الأمل

مهانٌ بريدي بغير القبل

لقاء قريبٌ

و خضرةُ أيكِ

تعود، تجيءُ،

تمدُّ مفاتنها الفارعة

سهام هي الوقعة الواقعة،

و وخزٌ هي القارعة

و صبرٌ يجمّد عرق المنى

أفي رحلة الملتقى

نسفُ الغلالَ،

نؤمّلُ أرواحنا اللاهثة

(5)

هي الكرةُ الملتقى

هي الكوكب الدائريُّ

هي العجبُ

و الدورة القاسية

صديقٌ يلاقي صديقاً

و عشٌ يرتّل سورتهُ الساحرة

و عشبٌ يزركشُ عودتة النادرة

و حوت يغيّب نخلتنا اليانعة

تمدُّ جذوراً

و تجدلُ نوراً

فتخبو الوعود

و يسمو الصمود

و تنهار ألويةٌ في العطاء

و تخفض سارية فاترة

(6)

رياحٌ و موجٌ

و حقدٌ وسيفٌ

وقلب وغدرٌ

وغيم وبدرُ

و نهر يسافر بين النجوم

يحاكي الغصون

وينتظر الموجة الغادرة

حياةٌ وموت

وذكرى وئيدة

بكاءٌ ... صراخٌ

وعرسٌ قريبٌ

ودنيا ... طليقة

تَسبحُ في القبة السادرة

(7)

قبورٌ قبور

صناديق تعلو

صناديق تجفو

و شالٌ من العمر

يغمر كل الجبال

و دمع يُرَوّي بقايا الرمال

و حزنٌ يعربد فوق الخيال

و أنتَ تشير برغم الألقْ

و تحنيْ لمن لقتوكَ الفلقْ

نداءٌ سيعلنُ بدء اللقاء

و وردة عطر من الذاكرة

إلى أين؟!

لا شيء يرضى

سكونٌ و بوقٌ

ولا نبض في القلب

أو في العروق

و في الأرض تأتمر الأشرعة

سماؤك أرضٌ

و أرضٌ سماءٌ

و أنت ياأنتَ في النقطة العائمة

عليك سلامٌ يضيء الفصول

و في المهد

أشلاء قصتنا

الخـــــاتمة

كتب للمؤلف

أ- في المسرح:

- دراسات مسرحية وأعمال موسوعية:

-حركة المسرح في حمص (دراسة وتاريخ) صدر عام ١٩٨٥م عن مطبعة الروضة

-معجم المسرحيات السورية (المؤلفة والمعربة ١٨٦٥-١٩٨٩) صدر عن دار طلاس.

-ملامح الدراما في التراث الشعبي العربي - دار الحياة ١٩٩٧م

-إشكالية التأصيل في المسرح العربي-مركز الحضارة-القاهرة ٢٠٠٠م

-محاور في المسرح العربي-وزارة الثقافة بدمشق- المعهد العالي للفنون المسرحية ٢٠٠٣م

-النص والعرض المسرحي الإماراتي (دراسة) وزارة الإعلام -أبوظبي ٢٠٠٣م

-إيقاعات مسرحية -دار الإرشاد- سورية ٢٠٠٥م.

-أطياف المسرح العربي - دائرة الثقافة والإعلام - الشارقة ٢٠٠٧م

-مقاربات مسرحية -مؤسسة الانتشار العالمي- القاهرة ٢٠٠٨م
-الكتابة بحبر المسرح -مؤسسة الانتشار العالمي - القاهرة ٢٠٠٨م

- نصوص مسرحية للكبار:

-مسرحيتان :
أ-أسلاك الجمر-دار الذاكرة ١٩٩٥م
ب- المحطة الأخيرة - دار الذاكرة ١٩٩٥م

-مازال الرقص مستمراً (مسرحية مشتركة) صدر عام١٩٨٧م عن دار المعارف

-مسرحيتان:

١-زهرة عباد الشمس.

٢-هجرات عبد الرحمن الكواكبي/ دار علا ١٩٩٥م

-الصوت المسافر: (مسرحية) دار المسار ١٩٩٦م

-نقيق الضفادع -مسرحية- دار البحار بيروت ٢٠٠٠م

-مسرحيتان: (مونودراما):

١-الرجل الذي لم يفقد ظله.
٢-إلى من يهمه الأمر / دار ملهم

١٩٩٣م

-القصة:

. وسيم يصعد إلى الفضاء - *قصة أطفال*- جائزة الشيخة فاطمة بنت هزاع بن زايد آل نهيان لقصة الطفل.

. السماء التي أمطرت ذهبا - قصة أطفال- جائزة الشيخة فاطمة بنت هزاع بن زايد آل نهيان لقصة الطفل (فائزة بالمرتبة الأولى).

. الوعد الجميل - قصة أطفال- صندوق الطفولة الإمارات ٢٠٠٠م

. البائع الصغير قصة للأطفال -دار المناهل - دمشق ٢٠٠١م

. عشر قصص للأطفال (جود والشمس و...) دار الإرشاد بسورية ٢٠٠٥م

